عدلي يكن باشا

قتيل نابت بك

وئيس تحرير المقطم

في موقف جليل كهذا الموقف يحار الكاتب في اختيار ما يستهلّ به قولهُ والخواطر تتزاحم والعواطف تتدافع فلا يرى أوجب من أن يبدأ الكلام بتعزية مصر عن خسارتها بفقد قطب كبير وخسارة ابن كريم وانهيار ركن متين فاذا كان الفقيد قد أتمّ ما قيض له القضاء من عمر في هذه الدنيا وذهب الى لقاء ربهِ يحمل بيديهِ سفر اعمالهِ فاطقاً بمحامده فان مصر الثكلى تنوح الراحل وتبكي الفقيد وقد كان من الذين تباهي بهم والذين تعدهم لتجدتها اذا تعقدت الامور وتشعبت المعضلات

وقد يسهل على الذين ألفوا الكتابة عن الاحياء والاموات أن يصيغوا عبارات التأبين من منثور ومنظوم ويصنعوا من يؤبنون عن تحفظه أقلامهم وما توحيهِ عواطفهم وشعورهم ولكن في ذكرى عظماء الرجال ما يسمو هذا لما فيهِ من العبرة النافعة والعظة البالغة واعطاء كل ذي حق حقهُ من عرفان الفضل وتقدير الجميل وتعيين مدى النهوض بالواجب ولا سيما الواجب القومي

فقد عاصر عدلي باشا نهضة مصر الحديثة وكتب في سفر هذه النهضة صفحات مجيدة تخلد اسمهُ وذكراه وتصلح لان تكون مثالاً يحتذى وقدوة يقتدي بها الذين يعجبون بما كان هذا المصري العظيم متصفاً بهِ وما ميزتهُ بهِ العناية

***

عاصر عدلي باشا هذه النهضة وشبَّ معها الى ان ابلغتهُ مواهبهُ ومناقبهُ الى مقام القابض على الدفة فكان شعارهُ واحداً في جميع الحالات ومقصده لا يتغير وكان لهُ من اخلاقهِ وسجاياه ما يساعدهُ وما يعينهُ على سلوك الطريق الذي سلكه الى ان صار الرجل الذي يشار اليهِ بالبنان والوزير الذي يعهد اليهِ في جلائل الامور ومعالجة الازمات

كان شمم عدلي يكن متجلياً في هيئتهِ ومنظرهِ ومشيتهِ ووقوفهِ وجلوسهِ ولكن هذا في الواقع ما كان سوى مظهر للروح التي كانت وراء حنايا الضلوع

عدلي يكن باشا

مقتطف دسمبر ١٩٣٣

امام صفحة ٥١٧

وهذه سجية عرف بها النقيد واشتهرت عنه وكان لها أعظم تأثير في حياته الادارية وحياته السياسية وسعيه لاستقلال بلاده بمثاله وفعاله ثم بمساعيه لما كان في الوزارة الرشدية ومباحثاته ومفاوضاته في لندن في اثناء وزارته ثم في ما عقب ذلك من انقسام ووئام وشقاق ووفاق ونهوض بعبء القضية المصرية في الحين الذي دجا فيه الجوّ السياسي وتلبدت فيه سحب الحيرة

وهذا الشمم تجلى فيه وهو موظف صغير ولازمهُ وهو مدير ومحافظ مقروناً بعنايته بالعمل ورعايته للعاملين ورغبته في العدل وحب الانصاف وقد كان من نتائجه ان اعتزّت فيه النزاهة السياسية والنزاهة الادارية فقضى عمراً طويلاً يتقلب في المناصب حتى بلغ أرفعها ولم يسمع عنهُ الاَّ كل ما يزين التقي ويباهي به الموظف والسياسي وهو مع ذلك يمقت الظهور الاَّ بما تقضي به الواجبات ومقتضى اللياقة وربما كان في ونرفه عند هذا الحد وعدم ميله الفطري الى مجاوزته ما حال دون نهوضه بمهمة الزعامة الحزبية وقد تولاها ثم تخلى عنها حتى قيضت له فعاله وصدق خدمته ان تقلد الزعامة الشعبية باجتماع القلوب حوله وشيوع الثقة به حتى عمت جميع الاحزاب فكانت في ساعات الشدة ترنو اليه بابصارها وترى فيه ابن بجدتها

***

وبعد الذي أوردته هنا لا يحتاج الكاتب الى كدّ الذهن ولا يحتاج القارىء الى حصر الفكر في استخراج العبرة التي يحسن استخراجها من حياة طفحت بأعمال عظيمة القدر وفي حقبة من سني هذا العصر الذي طرأ فيه من التحول على العالم ومصر في جملته ما لم يسبق له مثيل في اضعافها من قبل

ولا ابغي في هذا المقام خوض المباحث النفسية لتعليل ما الهل بسيرة هذا السيد المصري الكريم — وهذا أقرب تعبير لما يريدهُ الانكليز بلفظة جنتلمان — فلست من المولعين بهذه المباحث النفسية ولا أرى من ينظر في سيرة عدلي يكن في حاجة اليها . فقد كانت حياته صفحة جلية اتاحت له العناية ان يخط فيها سطوراً من الاعمال النافعة المجيدة بحروف من نور تشهد لكاتبها بأنهُ عرف معنى الوطنية الحق وانه ألهم إلهاماً صحيحاً وانهُ وفق الى كثير مما أراد في خدمة قومه وترك لهم أفراداً وجماعات ذكرى حافلة بما ينفع في مواصلة الجهاد

ولكن اذا كان ما رآه معظم الناس من فقيد مصر مرتبطاً بالعمل السياسي والخدمة الادارية فقد كان في سيرته وجهان آخران لها دلالتهما في بيان سجاياه ومزاجه وهما يؤيدان ما تجلى في اعماله العامة

فقد كان عدلي باشا شديد الوفاء لاخوانه وأصدقائه وكبير العطف على مرؤوسيه مع انتقاء صدق الخدمة منهم والتدقيق في تتبع اعمالهم وسعة الصدر في سماع شكواهم والعناية بانصافهم

***

والذين عاشروه في الاندية والمجتمعات وفي أحوال خاصة يعسر فيها ضبط النفس وحبس العواطف كانوا يعجبون اعجاباً شديداً برزانته ووقاره وكيف انهما ما كانا يفارقانه مهما تنوّعت الظروف . وقد قال لنا غير واحد منهم ان عدلي في جميع تلك المواقف كان كالطود الراسخ . وهذا الوصف يطابق ما كان يبدو في عدلي باشا في أثناء الازمات والشدائد وهذا ما اتصف به لما سمى مستر ميلنر المرحوم رشدي باشا لخدمة مصر سعياً قال رشدي باشا في وصفه انه لو عرفه الانكليز في حينه لشنقوه (اي رشدي باشا) والذين يعرفون تلك الحوادث يعلمون ان مصير عدلي ما كان ليختلف عن مصير رشدي من هذا القبيل لو افتضح الامر قبل اوانه

وربما كان من أبهى صحائف هذا الرجل العظيم ما متعه الله به في أخريات أيامه برؤية ذريته ولدي كريمته المأسوف عليها فقد كان عدلي باشا يجد السرور كله وبهجة الحياة جميعها في ما يقضيه من الوقت مع بنت وصي لا يزالان في سن الطفولة يلاعبهما كما يلاعب الصغار في هذه السن ويجني من المسرة ما يشرح صدره ويخفق له قلبه حبًّا وحناناً وله في ذلك اقوال مأثورة يتناقلها اصدقاؤه وعشراؤه

***

هذا بعض ما نقوله نحن الذين عاصروه وعرفوه واطلعوا على شيء من مناقبه ومواهبه وسجاياه وفعاله ونحن لا نزال قريبين منه ولم نبتعد عنه ما يكفي للاحاطة بالشيء كله كما يحيط به التاريخ بعد ما ينقضي ما يلزم من الزمان لاذاعة ما لم يذع بحكم الاعتبارات السياسية وينقشع الغبار الذي تثيره الخلافات الحزبية في اجواء البلدان وبعد ما تخمد العواصف ويزول الانفعال فتكون الاحكام اقرب الى الصواب بزيادة المعلومات والبينات وسلامة البحث من مؤثرات تقحم عليه وليس لها صلة حقيقية به

سيقول التاريخ كلمته وستجيء مطابقة لما يؤمن به ابناء هذا العصر وهو ان مصر فقدت بعدلي باشا ابناً من اكرم ابنائها خلقاً وأشرفهم طبعاً ومن أصدقهم وطنيةً ومن أكثرهم خدمةً صحيحةً للعرش والامة والوطن

رحمة الله عليه ونفعنا بفضله وخدمته وقدوته